الديـن في قلب المجتمـع: أسئلة مفتوحة

وفقًا للأديان التوحيدية، نحن جميعًا سواسية

بيانكا زاناردي

ترجمة: زهير الخويلدي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020

All rights reserved © 2020

الدين في قلب المجتمع: أسئلة مفتوحة[1]
وفقًا للأديان التوحيدية، نحن جميعًا سواسية

بيانكا زاناردي

ترجمة: **د. زهير الخويلدي**

1 Bianca Zanardi, La religion au coeur de la société : des questions ouvertes, Paris, juillet 2009
الرابط: http://www.irenees.net/bdf_fiche-analyse-926_fr.html

«لقد انتقل الإسلام إلى الغرب إلى الأبد، ليس في شكل غزو واسع النطاق أو التحول، ولكن من أجل التهجير الطوعي للسكان المسلمين، الذين جاءوا للبحث عن عمل أو ظروف معيشية أفضل في الغرب.»

«وفقًا للأديان اليهودية والمسيحية والإسلامية، نحن جميعًا مخلوقات الله، وهذا من شأنه أن يمنحنا قواعد لتشجيعنا على العيش معًا في سلام واتحاد؛ ولكن بعد ذلك، لماذا يوجد كل هذا الصراع باسم الدين؟ ما لم يخطئ الناس في فهم رسالته... في بعض الأحيان يختبئ حتى المؤمنون وراء نموذج ديني أقل نوايا جديرة بالثناء لقيادة قتالهم!. كيف يمكن للدين أن يدفع باتجاه الدمار؟ كيف يمكن للأديان أن تسهم في السلام؟ كيف يمكن للعولمة أن تغير تديننا؟ كيف يمكن للدين أن يتدخل في السياسة وبأية عواقب؟ ستساعدنا الأعمال التي تم أخذها في الاعتبار لهذه المقالة في الإجابة عن كل هذه الأسئلة. سوف، نكتشف كيف أن الدين لا يزال في قلب مجتمعنا، بشكل أكثر وضوحًا في بعض الحالات، وأكثر دقة في حالات أخرى.

1- السلام والصراعات في الدين:

في الماضي، كان الدين، أكثر من الجنسية، هو ما وحّد البشر، ومنحهم هوية جماعية، بفضلهم شعروا بالتضامن مع بعضهم البعض. وهكذا، فإن حروب العصور القديمة في العالم اليهودي، أو في وقت لاحق، تلك التي شنتها الإمبراطورية الرومانية المسيحية، كانت تُشن باسم الله. ولكن، كما يقول فيليرا، كما هو الحال الآن، كانت لهذه الحروب أيضًا، وراء طابعها الديني، أسباب أقل روحية: غزو الأرض، والقضاء على العدو، والدفاع عن حدودها، إلخ. من خلال الادعاء بأنهم من عند الله، أخذوا الشرعية التي احتاجوا إلى قبولها من قبل السكان. اليوم، يتابع فيليرا، يمكن للبشر أن يشعروا بأنهم ملتزمون بمصير مشترك؛ لأنهم ينتمون إلى نفس الأمة، أو لأنهم يتشاركون في قيم ليست بالضرورة قيم الدين: الإيمان بالدين، الديمقراطية، على سبيل المثال. هذا هو السبب في أن الحروب المعاصرة تبدو أقل ارتباطًا بالدين، ومع ذلك، يلاحظ كاتب العدالة فيريشتان، في كثير من الأحيان، أن النزاعات الدينية، في الماضي كما في الحاضر، سببها أشخاص وضعوا الدين في الخدمة. مصالحهم الخاصة؛ باسم الدين والأشياء المقدسة، قاموا بتعبئة الناس واستغلالهم لتحقيق أغراضهم الخاصة. بالطبع، في جميع الحروب، يفقد آلاف الجنود حياتهم باسم قضية يعتقدون بصدق أنها صحيحة، لكن جذور العنف لا تكمن في عقيدتهم، كما يتابع فيريشتيان. يجب البحث عنها في أهداف أولئك الذين يتلاعبون بها، لتبرير استخدام الحرب أو العنف، يحتاج هؤلاء المتلاعبون إلى ذريعة تعبئة للرأي العام. يمكنهم أن يجدوها في القومية، ونتيجتها الطبيعية، العنصرية، أو في الدين. من خلال الدعوة إلى الدين، يمكننا أن نرى أن الحرب لا تُصنع لانتصار الحقيقة، ولكن لتهدئة الأحقاد المستعصية من الأسلاف. هذا هو الحال في كل من التاريخ الأوروبي وتاريخ الشرق. على سبيل المثال، تعود جذور الصراع بين

الكاثوليك الأيرلنديين والبروتستانت إلى ما قبل الإصلاح. وبالمثل، لم تكن الحرب بين إيران والعراق نتيجة للثورة الإيرانية، بل كانت بالأحرى مثالاً على التنافس القديم بين البلدين. يقول مورو؛ إن البعض جادل بأن الصراع في يوغوسلافيا السابقة، كان أيضًا صراعًا دينيًا، لكنها كانت حربًا استخدمت الدين ذريعة. لقد برر القادة السياسيون أعمالهم الوحشية بالتلاعب بالناس، والتأكيد على الاختلافات الدينية بقوة. يوافق فيليرا: يوغوسلافيا السابقة كانت دولة علمانية يعيش فيها الكاثوليك والأرثوذكس والمسلمون معًا في بعض المناطق. منذ عام 1945، يعيش هؤلاء المواطنون معًا في سلام. لكن في عام 1991، خاض زعماء المناطق الرئيسة (سلوفينيا وكرواتيا وصربيا وكوسوفو) الحرب؛ لأنهم لم يعودوا راضين عن طريقة تقاسم السلطة والمسؤوليات بينهم. سعى القادة العسكريون الصرب والكروات إلى إثارة الكراهية بين المواطنين لتأجيج الصراع وتبريره. من خلال إجبار المواطنين على الانضمام إلى جانب أو آخر، أرادوا إظهار أن الحرب كانت ضرورية؛ لأن المسيحيين والمسلمين لا يستطيعون العيش معًا على نفس الأرض. في الآونة الأخيرة، يتابع فيليرا، تظهر الحرب التي شنتها الولايات المتحدة ضد العراق في ربيع عام 2002 كيف لا يزال من الممكن التلاعب بالدين لإثبات صحة أولئك الذين يسعون إلى الصراع. سعيًا إلى حجة شرعية لمهاجمة بلد لا يحق لها التدخل فيه، استخدمت الولايات المتحدة ذريعة الحاجة إلى شن حرب على الإرهاب؛ لكن القادة الأمريكيين أكدوا أن المسألة ليست حربًا مثل الحروب الأخرى، بل تتعلق بنضال أكثر جوهرية ضد "الشر"، وهي "حرب صليبية" تجسد فيها الولايات المتحدة "الخير". هذه حجج ذات طبيعة دينية؛ الحملة الصليبية بامتياز حرب دينية. لذا، لا يزال الدين يلعب دورًا أساسيًا اليوم في إضفاء الشرعية على تصرفات القوة العالمية الرائدة، وفي الولايات المتحدة، كما تقول فرويدفو ميتيري، يكون بشكل عام في سياقات معينة من الأزمات أو الخطر. ما يثقل كاهل الأمة أن اللجوء إلى المفردات الدينية هو الأكثر شيوعًا. في الواقع، كان جورج دبليو بوش بلا شك الرئيس الأمريكي الأكثر ميلًا إلى تعبئة الجسم الدلالي للدين المدني، في جميع أبعاده: فكرة الشعب المختار، عندما أعلن أنه تم "استدعاء" الأمريكيين إلى تخليص العالم من الشر، مبدأ النمذجة عندما تأكد أن الولايات المتحدة يجب أن "تتصرف بجرأة لصالح الحرية" وتقبل، كما في عام 1945، "نداء التاريخ لإنقاذ المظلومين"، والمنطق الخلاصي عندما أعلن أن البلد سوف يضيء في يوم من الأيام نور الحرية والديمقراطية على العالم. لكن المهمة الأولى للأديان هي خلق السلام، ويظهر التاريخ أنه يمكنهم التعايش بسلام: يخبرنا فيليرا عن التعايش المثالي تقريبًا، ذلك الذي عرفه المجتمع الإسلامي في إسبانيا بين القرنين الثامن والحادي عشر. لقد عاش في الأندلس الغزاة العرب والبربر، وسكان يهود أوروبيون (من أصل سلافي) ومسيحيون من أصل إسباني ("المستعربين"). في عهد المسلمين حافظوا على عبادتهم. كان للمسيحيين واليهود قوانينهم الخاصة لعدم خضوعهم للشريعة، كانت أيام العطلة للجميع أيام الأديان الثلاثة: الجمعة والسبت والأحد. أدى اختلاط الثقافات واللغات والأديان إلى ازدهار جميع التخصصات الرئيسة في

ذلك الوقت: الأدب والعمارة والطب والرياضيات والفلسفة. لقد كانت حضارة رائعة بشكل خاص. يطرح فيريختيان سؤالًا مهمًّا: إذا كان الدين لا يمكن أن يساهم في السلام والتسامح واحترام الآخرين، فما الغرض منه؟ وتذكر الأخت أنجيس بلوا أن يسوع لا يقول: "ليس لديك أعداء"، بل "أحب أعداءك". للمساهمة في السلام، من واجب الأديان، وفقًا لبيرجينو، أن تخلع ملابسها القديمة، وتكاد تحمل مهمة تبشيرية فريدة من نوعها. ويؤكد مورو أن القواسم المشتركة أكثر من الاختلافات ويقتبس شاكياموني "لا أستطيع ترك أحد يعاني". كانت أيضًا رسالة السيد المسيح ومحمد: "كل هؤلاء الأشخاص خرجوا إلى أولئك الذين يعانون وتواصلوا معهم، ليمنحهم الأمل. لقد شعروا بمعاناة الآخرين، وتقاسموا معهم الألم والبلاء. دعونا نعود إلى هذه النقطة الأصلية، حب الإنسانية، سمة مؤسسي كل دين". من الضروري أن تثري نفسك باستمرار من الآخرين، وقد يعتقد المرء أن هذا لا يتم تناوله دائمًا بشكل كافٍ في التعليم والإعلام وبين المواطنين، يتابع مورو؛ لأنه يتطلب الكثير من الاستماع والتواضع، والحذر من الصور النمطية والأحكام المسبقة الأخرى. يقول المثل البوذي في سوترا، الأعمى والفيل، أن هناك شيئًا كالتالي: يقترب سبعة مكفوفين من فيل ويصفه كل منهم. الأول يمسك بالذيل ويدعي أن الفيل يشبه إلى حد كبير غصين، والثاني يمسك الجذع ويصرخ "لا على الإطلاق، الفيل مثل فرع جميل"، والثالث يلف ذراعيه حول ساقه. ينفي بشدة ويؤكد أن الفيل ليس سوى جذع شجرة كبيرة، ويشهد ملامسة الفيل الرابع للبطن أن الفيل هو نوع من السجاد الخشن والمتجعد، والخامس يلامس نابا يعوي ذلك "الفيل ليس أكثر من وتد مستدق، يصل السادس إلى الأذن بينما يدعي أن الفيل يمكن مقارنته بغطاء زنبق، بينما يداعب الفيل السابع جانب الحيوان مقارنة بجدار أملس، ثم يُختتم المثل بمقارنة البشر بهؤلاء الرجال السبعة المكفوفين، يقاتلون بلا نهاية في محاولة لفهم نفس الواقع (الحياة) الذي لا يدركونه إلا جزئيًا، بدون رؤية شاملة، بدون حكمة، بدون حوار.

2- العولمة والدين

لقد انتقل الإسلام إلى الغرب إلى الأبد. ليس في شكل غزو واسع النطاق أو التحول، ولكن من أجل التهجير الطوعي للسكان المسلمين، الذين جاءوا للبحث عن عمل أو ظروف معيشية أفضل في الغرب. إن وضع الأقلية الإسلامية هذا ليس جديدًا تمامًا، لكنه يكتسب أهمية أكبر، نظرًا لأن الفضاء الإسلامي التقليدي تجاوزته أيضًا ظاهرة العولمة. في اللحظة التي تمحى فيها الحدود بين الحضارات العظيمة نشهد ظهور نظريات وحركات تهدف على وجه التحديد إلى إحياء هذه الأشباح: من "الصدام" إلى "حوار" الحضارات، عبر الطائفية بجميع أشكالها، الإثنية أو الدينية، يتم إنشاء حدود جديدة، لكنها خالية من أي أرض ملموسة. إنها ثابتة في العقول والسلوكيات والخطب، يتم المطالبة بها بكل عنف أكثر مما يجب اختراعه. تحدث إلينا أوليفييه روا عن آثار العولمة على التدين الإسلامي. في هذا الصدد، أدخل مصطلح "إعادة الأسلمة"؛ أي

عملية إزالة الثقافة، ومحو الثقافات الأصلية لصالح شكل من أشكال التغريب. **إعادة الأسلمة** هي الإدراك بأن الهوية الإسلامية، حتى الآن تعتبر ببساطة أمرًا مفروغًا منه؛ لأنها جزء من كل ثقافي موروث، لا يمكن أن تستمر إلا إذا تمت إعادة صياغتها وإيضاحها، خارج أي سياق، ثقافة معينة، سواء أوروبية أو شرقية. كما يؤكد روا هنا على سوء فهم شائع: فكرة أن تغريب الإسلام يؤدي بالضرورة إلى تحرير الإسلام. في الواقع، لا يتوافق التغريب مع الخطاب الأصولي الجديد فحسب، بل يمكنه أيضًا الترويج له مع تبني وجهة نظر غربية إلى حد كبير للقيم والقضايا. وراء ادعاء النشطاء بأنهم يشيرون فقط إلى زمن النبي، ورفض أيّ تأثير من العالم غير الإسلامي، فإنهم يرون بوضوح العولمة كفرصة لإعادة بناء الأمة (مجتمع المؤمنين العالمي). إنهم يغيرون ضعفهم (كونهم نتاجا هامشيا للعولمة) والاستراتيجية (إعادة بناء الأمة على أنقاض الثقافات الموجودة). الحداثة التي أحدثها الانتقال إلى غرب الإسلام هي انفصال الإسلام كدين عن ثقافة ملموسة. وهذا يقود الفاعلين إلى إعادة صياغة دياناتهم بأنفسهم لم تعد مدعومة بالأدلة الاجتماعية. هذا النهج هو أولاً وقبل كل شيء، فردي؛ لأن الهيئات الجماعية (الآباء، والضغط الاجتماعي، وجسد العلماء، وتشريعات الدولة) لم تعد تعمل، لا لتقول ماهية الإسلام ولا لفرض نوع معين من السلوك والممارسات، الإيمانية، إعلان الذات، السعي الفردي للخلاص، مناهضة الفكر، البحث عن أخلاق عندما لا يكون المعيار القانوني منطقيًا: نجد هذه السمات في الديانات الأخرى: الأصولية البروتستانتية الأمريكية تصر على التمتع بالإيمان، على التجربة الدينية هي لقاء شخصي بينك وبين الله، والعواقب هي نفسها: ننتقل من مجتمع عالمي إلى مجتمع معين، ما يتغير ليس الدين (عقيدة وطقوس)، بل التدين؛ أي الطريقة التي يبني بها المؤمن علاقته بالدين ويعيشها. إن ظهور جيل ثان أو حتى ثالث من أبناء المهاجرين، الذين ولدوا وتعلموا في الغرب، يساعد في فصل الإسلام الأوروبي عن الشرق الأوسط. بالإضافة إلى ذلك، جنبًا إلى جنب مع الهجرة الاقتصادية، تطور السكان المتنقلون، والمتعلمون بشكل عام، وهم بالفعل عابرون للحدود لأسباب مختلفة، وهي تتراوح بين هجرة المتخصصين واللاجئين السياسيين إلى الطلاب الذين لا يعودون إلى ديارهم. إن عولمة المناهج الجامعية (الدكتوراه واستخدام اللغة الإنجليزية) تنتج أيضًا فئة من المثقفين بلا حدود.

نحن نشهد خلق هويات جديدة، يمكن أن تتجسد في ثقافات فرعية، وبالتالي تعطي انطباعًا بالحفاظ على الهويات الأصلية، بينما هي دائمًا هويات معاد تكوينها. وبالتالي، فإن الدين والثقافة حقيقة. إعادة البناء العرقي الجديد ليست سوى طريقة وهمية لإعادة إنشاء الصلة الضرورية بين الدين والثقافة، وتحديد مجتمع مضاد أو ثقافة فرعية في مجملها ليست مسلمة وهمية؛ لأنه في الواقع المجتمع المهيمن، الآخر، هو الذي يحدد ليس فقط المكان، بل طبيعة ما نسميه «المجتمع المسلم». وبالتالي، فإن الانتقال إلى الغرب يعدل العلاقة بـ التدين الذي ساد في البلد الأصلي، لثلاثة أسباب: تمييع الهوية والجماعة العرقية الأصلية، وغياب المراجع الدينية الإسلامية الشرعية في البلد المضيف، من يمكنه قول ذلك. هذا هو المعيار، وأخيرًا

استحالة وجود إكراه قانوني بقدر ما هو اجتماعي ومجتمعي وعرفي، والذي ينقش الممارسة الدينية في ترتيب الوضوح والتوافق الاجتماعي. لذلك، يجب أن يتم اختبار التدين كخيار وكإيمان. ما كان بسيطًا لأنه في المجهول، في العادة، في الإجماع، يجب أن يصاغ بشكل صريح فجأة. ما يسود إذن، ليس التشاؤم العميق للإسلاميين الراديكاليين، بل على العكس من ذلك، السعي إلى تحقيق السعادة والاندماج في المجتمع. اليوم موضوع الحجاب الذي يتم ارتداؤه طواعية: هو إعادة تملّك وتأكيد على الذات، ولم يعد علامة على التوافق الاجتماعي. كل من إعادة البناء الإنسانية للإسلام والأشكال الجديدة من الأصولية الراديكالية هي جزء من نفس عملية الفردانية، ورد الفعل نفسه على فقدان الأدلة. الجهد على النفس، البحث عن الخلاص، العلاقة المباشرة مع الله دون المرور عبر وسطاء، سواء كان الأمر يتعلق بحزب، أو مؤسسات متعلمة أو علماء دين: كل هذه العناصر موجودة أيضًا في مؤيدي الأصولية الجديدة الراديكالية أكثر من أولئك الذين يطورون الروحانية الإنسانية. الإيمان لا تدعمه الثقافة المحيطة أو القوانين: لذلك يصبح محور اهتمام المؤمن، ومن ثم هذا التشكيك في إيمانه، وإخلاصه، وقربه من المسيحية غائب تمامًا في سياق المجتمع الإسلامي. إن تدمير المجتمعات التقليدية وإعادة تأسيس المجتمعات الخيالية القائمة على الفرد، وظواهر العولمة المعاصرة، تساهم في انتشار الأصولية الجديدة. هناك عنصران يعرّفان الأصولية الجديدة بالنسبة إلى روا: نظريته الدينية ومناهضته الثقافية للغرب. تمثل الأصولية الجديدة رؤية صارمة وحرفية للرسالة القرآنية: كل شيء يعود إلى القرآن والسنة النبوية والشريعة. إنه غير مبال بالمسألة الاجتماعية، ويرفض أن يهتم بالفلسفة والعلوم السياسية (في حين أن الإسلاميين هم قراء عظماء، وحتى ناقدون للفلسفة الغربية). إنه متردد للغاية في مواجهة جميع أشكال الاندماج في المجتمعات الغربية. هذه الرغبة في القيام بعملية اكتساح نظيفة تعمل بشكل أفضل، عندما يتم إضعاف الثقافات التقليدية بسبب الهجرة أو العولمة، دون أن يتم نقلها من خلال استيعاب الثقافة السائدة الجديدة. لذلك، فإن الأصولية الجديدة مهووسة بالعودة إلى «الإسلام الحقيقي». إنه يريد تنقية ممارسات المؤمن من كل ما لا يتعلق بالإسلام وحده، وبالتالي يعرّف المسلم المجرد الذي تكون ممارسته هي نفسها بغض النظر عن البيئة الثقافية والاجتماعية. وبهذا المعنى، فإن الأصولية الجديدة هي بشكل صريح عامل إزالة الثقافة، بقدر ما تسعى جاهدة لتطهير إيمان المؤمن وإعادة ممارسته إلى مجموعة مغلقة من الطقوس والالتزامات والنواهي، في حالة تمزق. مع فكرة الثقافة ذاتها. ولذلك، فهي تشارك في العولمة؛ بمعنى أن الهويات التي تسمح بتنفيذها تتجاهل الأقاليم والثقافات. وهكذا يصبح الإسلام المطهر في الواقع متوافقًا مع أيّ سياق اجتماعي، شرط أن يعيش في مجتمع خيالي. من الواضح أن الأصولية الجديدة هي نتاج ووكيل نزع ثقافة المجتمعات الإسلامية، وهو ما يفسر نجاحها عبر الوطنية. من المفهوم أنها تكتسب موطئ قدم بين الشباب الذين تم اقتلاعهم من جذورهم وتقطيعهم وتهجيرهم. لكن إذا كان هذا التفرد ممكنًا، فهو أيضًا لأنه بدأ بالفعل، بسبب ظواهر أخرى، من أزمة القبلية إلى الانفصال بين الأجيال بعد

الهجرة. إن الجديد والمميز في التسعينيات هو التطرف السياسي للأصوليين الجدد، الذين أصبح جزءا منهم «جهاديًا»؛ أي يفضل الكفاح المسلح بدلاً من الوعظ الديني. إنهم يرون الصراع من منظور الصراع بين حضارتين، الإسلام والغرب، التي تمثل الإمبراطورية الأمريكية تعبيرها العسكري السياسي. الجهاد الذي يحشد المقاتلين الدوليين هم جميعًا على أطراف العالم الإسلامي (البوسنة، كوسوفو، الشيشان، أفغانستان، كشمير، الفلبين) ومتطوعو هذا الجهاد هم أيضًا «أطراف»، في الغالب، إما من خلال أصولهم، أو من خلال مسارهم الفردي. اقتلع معظمهم، وخاصة الأصغر منهم، إعادة الإسلام في الغرب من خلال انقطاع ثلاثي: مع بلد المنشأ، ومع الأسرة ومع البلد المضيف. إنها نتاج التثاقف وإعادة بناء الهوية. في فرنسا، الالتزام العسكري باسم الإسلام هو عمل شباب مسلمين من الجيل الثاني مع القليل من التدريب الديني، والذين هم في المدرسة، لكنهم يفشلون في العمل أو يشعرون بخيبة أمل من آفاق التقدم الاجتماعي. الإسلام بالنسبة إليهم فرصة لإعادة صياغة هويتهم والاحتجاج.

3- الدين والسياسة

ستقدم الولايات المتحدة الحالة الفريدة، في العالم الغربي، للديمقراطية التي تحتفظ بمكانة خاصة للدين في الحياة السياسية: هذا التأكيد أصبح شائعًا الآن. من خلال النظر فقط في مظاهر تدين عام معين، ننسى أن نتذكر أن الجمهورية الأمريكية علمانية تمامًا، التعديل الأول يضمن الفصل بين الكنيسة والدولة. قبل كل شيء، نحن نفتقد خصوصية هذا البلد الذي يفسر الشعور بالغرابة الذي يلهمه غالبًا. يخبرنا كاميل فرويدفو ميتيري عن القوتين المتناقضتين اللتين تتعايشان هناك: روح الدين التي يمكن اختزالها في الرغبة في وضع النظام المدني تحت الوصاية المسيحية، وروح العلمانية التي تميل على عكس ذلك. حصر الدين في المجال الخاص. بعد الموجة الأولى من الاستيطان في فيرجينيا من عام 1609 من قبل الإنجليز المتحمسين بشكل خاص للعثور على ثروتهم، كانت الموجات التالية من عمل الكالفينيين الراديكاليين. لقد وجدوا كنائس دولة حقيقية وتمييزًا مؤسسيًا ضد أولئك الذين يعترفون بعقيدة أخرى: الطرد، وحظر التوظيف في القطاع العام، وغيرها من عمليات الحرمان الكنسي هي ممارسة شائعة. لذلك، لا يوجد شيء أكثر خطأ من تتبع مبدأ التسامح الديني وارتباطه التعددي بأصول ما قبل الثورة للأمة الأمريكية. لا يُنظر إلى المستعمرات على أنها مصحات مفتوحة للكل، ولكن كمجتمعات من الناس تم اختيارها بعناية لاستقامتها الأخلاقية، وعلى استعداد للعيش ضمن نظام مدني وديني مشترك. ولكن سرعان ما أفسحت المحافظة الاجتماعية التي ينطوي عليها اللاهوت الكالفيني الطريق أمام ديناميكية الاقتصاد المزدهر. هذه هي الطريقة التي يبدأ بها الأمريكيون التفكير في السياسة دون الرجوع دائمًا إلى نموذج العقد مع الله. يبدو الآن تسيير الشؤون العلمانية وسيلة لضمان حرية الأفراد. منذ اللحظة التي تتحرر فيها إدارة الشؤون الزمنية من كل اعتماد على الإله، لم يعد

من الممكن تصور الشؤون الروحية إلا على أنها مستقلة تمامًا: إنها تأكيد للحرية الدينية في المستعمرات. منذ عام 1740، انعكست حركة واسعة من التنشيط الروحي، الصحوة الكبرى، بشكل ملموس في موجة من التحولات التي أعادت المستعمرين إلى الكنائس: من هذه الدورة من التجديد عرفت الحركة البروتستانتية باسم الإنجيلية. من وجهة نظر لاهوتية، يشترك الإنجيليون مع البيوريتانيين في الإيمان الراسخ بالحقيقة المطلقة للكتاب المقدس، لكنهم يتميزون عنها بتفاؤل أنثروبولوجي يجعلهم يعدون بالخلاص لأي إنسان مستعد للقيام بذلك. جهد التجديد الأخلاقي والروحي. في عام 1776، كان هناك الآن سبع عشرة عائلة طائفية كبيرة مقسمة إلى أكثر من 3200 جماعة. تساهم حقيقة التنوع هذه في الانتشار التدريجي للمطالبة بالتسامح؛ إنها ولادة سمة مميزة للحياة الدينية الأمريكية، التعددية المذهبية. إذا نسب إعلان الاستقلال لعام 1776 إلى "الخالق" الحقوق غير القابلة للتصرف الممنوحة للإنسان، إذا كانت مواد الاتحاد الكونفدرالية لعام 1777 تشير إلى "الحاكم العظيم للكون"، وإذا اعترفت معظم دساتير الدول صراحةً لوجود علاقة بين إله المسيحيين والنظام المدني، فإن الدستور الفيدرالي لعام 1787 لا يذكر الخالق ولا الحاكم الأكبر ولا الكائن الأسمى: لا يمكن العثور على الله هناك. بعد المصادقة على الدستور، تعهد الرئيس الأول للولايات المتحدة، جورج واشنطن، بأن حكومته "التي لا تعترف بالتعصب ولا تشجع الاضطهاد" تضمن، أكثر من التعايش الحر بين مختلف الطوائف، مساواتهم من حيث المبدأ، في مقابل أن يمنحها أعضاؤها دعمًا غير مشروط. ومع ذلك، على الرغم من هذه الرغبة الانفصالية الواضحة، فإن الوضع السائد في غالبية الدول هو في الواقع حالة متشابكة من الأنظمة الروحية والزمنية. الأمر متروك للمحكمة العليا لضمان استدامة وصلابة الجهاز العلماني للجمهورية الأمريكية؛ وهذا أيضًا بسبب هذه الحقيقة التي لها القدرة على التأثير في السوابق القضائية في اتجاه أو آخر. منذ أربعينيات القرن الماضي، كان الخيار "الانفصالي" بقيادة القاضي هوغو بلاك هو الذي فاز بمجموعة من القرارات لصالح توحيد التعديل الأول. بالانتقال إلى التاريخ، يتذكر القاضي هوغو بلاك أن التأكيد الدستوري للحرية الدينية متجذر في تجربة مزدوجة من عدم التسامح: من ناحية، الهروب من الاضطهاد الديني الذي قام به المستوطنون الأوائل هبطت على شواطئ العالم الجديد، ومن ناحية أخرى، عانت الأقليات الدينية من التمييز العنيف على الأراضي الأمريكية نفسها. انعكس هذا الاتجاه في الثمانينيات، تحت قيادة الرئيس الجديد للمحكمة، ويليام رينكويست. سيؤدي هذا إلى تغيير فقه التعديل الأول في اتجاه أقل انفصالية. وسيتم تأكيد هذا التغيير في الاتجاه في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين من خلال تعيين قاضيين جديدين بشكل علني لصالح تفسير ضيق لشرط عدم التأسيس. من خلال قصره على حظر تأسيس دين وطني، فإن أنصاره سيمكنون من مساعدة الدولة الفيدرالية للمنظمات الدينية. في الأربعينيات من القرن الماضي، عندما اتخذت المحكمة العليا أولى القرارات الرئيسة المتعلقة بالتعديل الأول، أعاد الإنجيليون استثمار المشهد العام الأمريكي: تم إنشاء "الرابطة الوطنية للإنجيليين" في عام 1942 بهدف معلن، وهو

الانخراط في الحياة المدنية. في عام 1973، تسبب حكم المحكمة العليا بإضفاء الشرعية على الإجهاض في حدوث زلزال حقيقي في الدوائر البروتستانتية المحافظة؛ ردّ الفعل فوري: نرى ظهور العديد من جماعات الضغط السياسية والدينية الملتزمة "من أجل الحياة والأسرة والأخلاق وأمريكا" و"ضد الإجهاض والطلاق والإنسانية العلمانية". توفر هذه التنظيمات قاعدتها العسكرية لليمين المسيحي الذي يدخل المشهد السياسي الأمريكي من خلال ترسيخ نفسه داخل الحزب الجمهوري كعنصر لا يستهان به الآن. في الثمانينيات، يمكن لليمين المسيحي أن يظهر نيته في انتخاب رجال مؤيدين لقيمه. أعلنت دعمها للحزب الجمهوري، وفي عام 1984، أعطت رونالد ريغان 4 ملايين صوت. خلال حملته الانتخابية، ضاعف رونالد ريغان الإشارات في اتجاه الناخبين المتدينين، واعتمد على تعديل مناهض للمساواة في الحقوق وبرنامج مناهض للإجهاض. ومع ذلك، بمجرد انتخاب ريغان، سوف يحطم مرة أخرى، آمال اليمين المسيحي من خلال رفض الضغط على الكونجرس لدعم مطالبه الرئيسة. لقد اختلطت أوراق اللعبة السياسية والدينية مؤخرًا، وأدى إعادة توزيعها إلى ظهور تشكيلات جديدة. في المعسكر المحافظ أولاً، يقوم جيل جديد بتأسيس نفسه تدريجياً، وهو يختلف عن القديم في أساليبه بقدر ما هو في المطالب التي يطرحها على الساحة السياسية، ثم في المعسكر الليبرالي نشهد هذه الظاهرة الغريبة للحزب الديمقراطي الذي يتذكر فجأة أن الدين متغير مهم. وساعد في ذلك الإنجيليون التقدميون المتلهفون على عدم التخلي عن احتكار القيم المسيحية للجمهوريين، وقد رافق عودة ظهور اليسار الديني. في الواقع، أكبر مجموعة مؤثرة عدديًا واجتماعيًا، وهي المجموعة التي تمنح المجتمع الأمريكي ذلك التلوين الديني الذي لا يتوقف أبدًا عن إثارة فضولنا، هي المجموعة الإنجيلية. يتميز هؤلاء عن الأصوليين بقبول إيجابي أكثر للمجتمع العلماني، وباختيارهم للدخول في الديناميات الاجتماعية ودمج المؤسسات السياسية. في عام 2001، وافق 87٪ من الشباب الإنجيليين و80٪ من كبار السن (فوق 30) على سياسة جورج بوش الثاني؛ في عام 2007 انخفضت هذه المعدلات إلى 45٪ و52٪ على التوالي (استطلاعات مركز بيو للأبحاث، سبتمبر 2007). لأول مرة منذ عقود، انخفض تحديد هوية الإنجيليين في الحزب الكبير القديم إلى أقل من 50٪. بالنسبة إلى مارفن أولاسكي، محرر المجلة الإنجيلية العالمية والمستشار السابق لـجورج بوش الثاني، علينا أن نواجه الحقائق: فشل الحزب الجمهوري في الاحتفاظ بمحاباة الناخبين المتدينين، وانهارت قصة الحب. حول الحرب في العراق والتقدم الضئيل في مجال القيم، كان هناك عشية الحملة الانتخابية الرئاسية لعام 2008، شيء واحد واضح: كان على الديمقراطيين العودة إلى أكثر المواطنين حماسة؛ مشروع اليسار الديني طموح: فهو ينطوي على إقناع الناخبين الإنجيليين بوجود بديل سياسي لليمين المسيحي، دون تخويف الديمقراطيين "العلمانيين" (الديمقراطيين العلمانيين) الذين يرفضون الدين أو على الإطلاق أقل، يقصره على المجال الخاص.

أبدى **ب. أوباما** رغبة قوية في تقريب الديمقراطيين من قضايا الإيمان، مستنكرًا الموقف السائد حتى ذلك الحين من عدم مراعاة البعد الديني للشعب الأمريكي: «حان الوقت»، أعلن. «أن نشارك في نقاش جاد حول وسائل التوفيق بين الإيمان وديمقراطيتنا التعددية الحديثة». الهدف صريح: يجب ألا نتخلى عن المعسكر الديني للقادة البروتستانت الراديكاليين، بل نسعى إلى إقامة علاقة مع الإنجيليين، وبعد ذلك، مع جميع الأمريكيين المتدينين. لأول مرة منذ جيمي كارتر، تحول مرشح رئاسي ديمقراطي إلى هذه الناخبين. وفقًا لكاميل فرويدفو ميتيري، فإن مفهوم روسو للدين المدني يجد حياة جديدة عبر المحيط الأطلسي بفضل سياق سياسي ديني غير متعارض. دين الجمهورية، كما يتكشف في الإطار الفرنسي، يتم استبداله في الولايات المتحدة بدين في الجمهورية يتكيف مع العلمانية، ويجعل من الممكن حل التوتر الذي يشكل كل التاريخ الأمريكي بين روح الدين وروح العلمانية. يجمع الدين المدني بين إطار رسمي دقيق يسمح لكل مواطن بالارتباط بعبادة الأمة، مع مجموعة من المبادئ التي تمنح الجمهورية الأمريكية مصيرًا فريدًا وبارزًا: كان لدى الآباء الحجاج الطموح لتأسيس عالم جديد ونموذجي، فإن أحفادهم مدينون لأنفسهم بالحفاظ على شعلة هذا المشروع. لكن احذر: هذا ليس دينًا صارمًا؛ لأنه لا يقدم مبررًا نهائيًا لمحدودية الإنسان. يشير الدين المدني الأمريكي ببساطة إلى ظاهرة الحد الأدنى من التدين التي تميز الولايات المتحدة، والتي تجعل هذا البلد مختلفًا تمامًا في المظهر عن الدول الغربية الأخرى. إن الإيمان بالنموذج والخلاصية يشكلان معًا الأساس الروحي الذي بدونه يرى الغالبية العظمى من الأمريكيين أن مصيرهم القومي لا معنى له. كما يعد استخدام الرموز والمفردات الدينية جزءًا لا يتجزأ من الحياة السياسية. هذه الأدوات لها وظيفة محددة، وظيفتان أكثر تحديدًا: من ناحية، الحفاظ على الشعور بالوحدة الوطنية من خلال إعادة التنشيط الطقسي لعناصر تنتمي إلى الماضي المؤسسي، ومن ناحية أخرى، توليد تيار من الالتصاق لتغذية الحماس الشعبي حول مشروع أي انسان. في كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بتذكير الشعب الأمريكي بأنهم مجتمع خاص قادر على مواجهة أي تحدٍّ. إذا لم تتحوّل أمريكا نفسها من الجناح العسكري للمسيح الخلاصي إلى مسيح خاص بها، فمن جهة لم تدّع أبدًا أنها تبشر بقية العالم، فهي من جهة أخرى تشاركنا أنه لطالما اعتبر نفسه تجسيدًا لحقيقة معينة، حقيقة ليبرالية وديمقراطية.

خاتمة

يتضح من القراءة المستعرضة للأعمال، أنه على الرغم من حقيقة أن صراعات اليوم أقل ارتباطًا بالدين (وعندما تكون كذلك، فإنها تخفي دوافع أكثر براغماتية)، فإن الدين بحد ذاته هو دائمًا جزء لا يتجزأ من الديناميكيات السياسية والاجتماعية. من الديناميكيات الجديدة المرتبطة بالعولمة، يظهر نوع جديد من التدين، أكثر فردية. التيارات الأصولية التي تزدهر في الغرب تجد أرضًا خصبة في الارتباك المرتبط بفقدان التقاليد الدينية. على العكس من ذلك، لا يبدو أن التدين الأمريكي يمر بتغيرات كبيرة. بدلاً من ذلك، يبدو أنها تتأرجح بين مطلب علماني كان دائمًا حاضرًا منذ البداية، وميل ديني وخلاصي قوي يؤثر بشكل أو بآخر على سياسة البلاد. إن التناوب بين هذين المسارين هو ضمان توازن الدولة."

المصادر:

- كلير فيليرا، الحرب والسلام. السلام والصراعات في الدين
- لوران ديرفيو، الدين والسلام واللاعنف
- أوليفييه روا، الإسلام المعولم
- كميل فرويدفو-ميتري، السياسة والدين في الولايات المتحدة

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2020

جميع الحقوق محفوظة © 2020